طبيعة هذه الفترة الزمنية الفاصلة بين بداية القرن العشرين والاحتلال الانكليزي لفلسطين وفرض الانتداب عليها. هل كان يمكن ضمن الظروف الموضوعية والذاتية التي عاشها الشعب الفلسطيني في تلك الفترة أن تظهر الطبقة العاملة العربية الفلسطينية وتتبلور منظماتها النقابية والسياسية؟. ومن ناحية ثانية، هل كان هذا الواقع، مقارنا بواقع الوجود اليهودي والنشاط الصهيوني في فلسطين في تلك الفترة، يقود بالضرورة الى النتيجة المؤلمة التي وصل لها الشعب الفلسطيني، فيما لو عزل هذا الواقع والوجود عن مخطط الاستعمار الانكليزي وممارساته ودوره بعد الانتداب؟. أو بمعنى آخر هل كان الواقع المجرد لفلسطين وشعبها قبل الانتداب يؤدي لما وصلت اليه قضيته لولا المؤامرة الامبريالية التي تساوقت نشاطاتها مع نشاطات الحركة الصهيونية وتوجهاتها.

إن الظروف والمعطيات التي عاشتها تلك المنطقة تعطينا الاجابة الصحيحة على ذلك. وتؤكد لنا أن نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين لم تكن تحمل، حين التعامل معها بشكل مجرد، دلائل واضحة تؤكد حتمية الوصول الى الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني الآن. كما أن واقع العمالة، لم يكن يحمل مثل هذه الحتمية، ولا أدل على ذلك، اضافة لما ذكر سابقا، من حقيقة كون عدد العمال اليهود في فلسطين سنة ١٩٠٥،كان لا يزيد على ٥٥٠ عاملا فقط(١٧). أما عدد العائلات اليهودية التي كانت تعيش في فلسطين سنة ١٨٩٩ فلم يكن يزيد على ٥٣٢ عائلة فقط(١٨). وتدل هذه الأرقام على أن الخطوط الرئيسية للمأساة الفلسطينية لم تكن قد تبلورت بعد، بل لم يكن لها أي وجود فعلي في تلك الأيام. ويمكن التأكيد على ذلك من حقيقة توجه بعض أصحاب المزارع اليهود والاقطاعيين نحو تشغيل المزارعين العرب وعدم تشغيل المزارعين اليهود في السنين الأولى من القرن العشرين بالتحديد، بسبب كون المزارعين العرب أقل كلفة وأكثر خبرة(١٩)، مما يؤكد عدم ترسخ الأفكار الصهيونية لدى هؤلاء حتى ذلك الوقت، وقد دفع ذلك بعدد كبير من المهاجرين، ابتداء من تلك الفترة وحتى الحرب العالمية الأولى، وصل ما يعادل ٨٠٪ منهم للهجرة الى الخارج، نتيجة للظروف المعيشية التي تعرضوا لها(٢٠).

في مقابل ذلك، برزت حقيقة هامة اخرى، ذكرناها سابقا، وهي أن نشوء الطبقة العاملة العربيةوتشكلها لم يكونا واضحين في تلك الفترة، الأمر الذي انعكس على منظماتها السياسية والنقابية. فهذه المنظمات بدأت تظهر وتتبلور مع اشتداد ساعد الطبقة العاملة نفسها بحكم التغيرات الاقتصادية التي تمت في الساحة الفلسطينية نتيجة عوامل سنأتي على ذكرها فيما بعد، وبحكم ظروف المواجهة مع الانتداب البريطاني المستعمر ومع الخط الصهيوني الذي كان يبرز ويشتد مع مرور الأيام وبشكل خاص بعد الانتداب. وهكذا، جنبا الى جنب، بدأ تبلور الطبقة العاملة الفلسطينية وبروزها مع بداية تبلور المؤامرة وبداية المواجهة.

ولكن ما هو الحال بالنسبة للحركة العمالية اليهودية؟ وما هي صلتها بالحركة العمالية العربية وتاثيرها عليها؟.

بداية التجمعات العمالية اليهودية

تعتبر الصلة بين الحركة العمالية العربية في فلسطين والحركة العمالية اليهودية صلة عضوية لا يمكن إنكارها باي شكل من الاشكال. فلقد أسهمت عمليات الهجرة